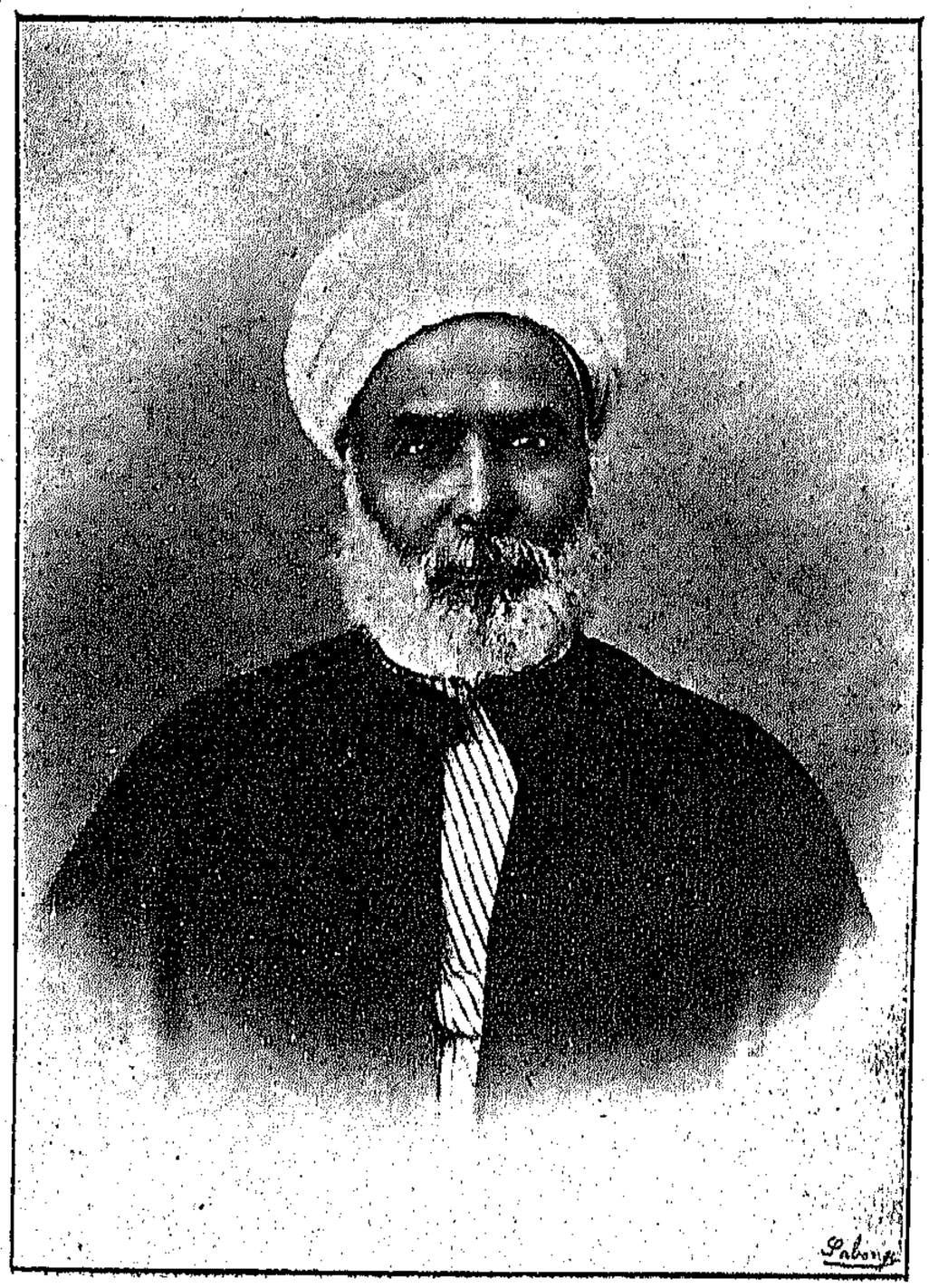

البقآء لله

في مسآء الحادي عشر من هذا الشهر نعت الينا انبآء الاسكندرية الاستاذ العلامة الكبير والامام الفيلسوف النحرير الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وقُطب العلوم العصرية وافتهُ دعوة ربهِ في ذلك الثغر وهو في الخامسة والستين من العمر على اثر علةٍ سرطانية دبّت في كبدهِ بل اصابت كبد القُطر فكان منعاهُ خطباً لا تقاس بهِ الخطوب عمَّ الرزء فيهِ فبكتهُ العيون بدمآء القلوب وحقَّ للامة المصرية ان تبكي فقيداً من ابنآئها قد لا يُخلفهُ عليها الدهر بل للامة العربية ان تندب اكبر عاملٍ من علمآئها في هذا العصر وفي اليوم الثاني نُقلت جنازتهُ الى العاصمة فسير بها بين الوفٍ من المشيعين حتى اذا بلغوا بها الى الجامع الازهر

صُلّي عليهِ ثم دُفن في قرافة المجاورين تغمدهُ الله برحمتهِ وجعل مقرّهُ بين جماعة اوليآئهِ المصلحين

اما ترجمتهُ فقد وُلد رحمهُ الله سنة ١٢٥٨ للهجرة بمحلة نصر من اعمال مديرية البُحَيرة وتلقى مبادئ العلم في الجامع الاحمدي بمدينة طنطا وفي سنة ١٢٨٢ انتقل الى الجامع الازهر وبعد ان تخرج فيهِ مدة ثلاث سنوات استوفى فيها ما تدعو اليهِ حاجة المتعلم من علوم العربية والشرع نزعت نفسهُ الى العلوم العقلية وكان مدرّسها يومئذٍ المرحوم الشيخ حسن الطويل فحضر عليهِ شيئاً من كتب المنطق والحكمة. وفي سنة ١٢٨٨ ورد على القطر السيد جمال الدين الافغاني الشهير فاتصل بهِ ولزمهُ واخذ عنهُ شيئاً كثيراً في الكلام واصول الفقه والمنطق والحكمة النظرية والهيئة القديمة والحديثة فنبغ في ذلك كلهِ. ولما اشتهر فضلهُ وعلمهُ عيّنهُ رياض باشا رئيساً لقلم المطبوعات وعهد اليهِ في انشآء جريدةٍ رسمية سماها بالوقائع المصرية هي التي لا تزال تصدر الى اليوم وهي اول جريدة في القطر. وفي اثنآء ذلك نشأت الثورة العرابية واتُّهم بمالأة الثائرين فنُفي الى الديار الشامية ولبث ست سنواتٍ في بيروت فعرف القوم فيها فضلهُ والتفّ حولهُ كبرآؤها وادبآؤها ثم عُيّن استاذاً في المدرسة السلطانية بها فتخرّج على يديهِ كثيرٌ من نوابغ الطلبة وفي مدة اقامتهِ بها كتب شرحهُ لخطَب الامام علي المعروفة بنهج البلاغة وشرح مقامات بديع الزمان

وفي تلك المدة كان السيد جمال الدين الافغاني قد وصل الى باريز آتياً من كلكتا وكانت المكاتبة بينهما لا تنقطع فسار اليهِ وانشأ معهُ جريدة العروة الوثقى ومع انهُ لم يُكتَب منها الا ثمانية عشر عدداً فقد اخذت ابعد مكانٍ من الشهرة وحسبك بجريدةٍ يتولى كتابتها مثل هذين الحكيمين. وعلى اثر ذلك سعى بعض آحاد الاسرة الخديوية في اصدار العفو عنهُ فعاد الى الديار المصرية وبعد ان القى بها عصاهُ عيّنهُ الخديوي السابق المغفور لهُ محمد توفيق باشا قاضياً اهليًّا ثم نُصِب مستشاراً في محكمة الاستئناف وسُمّي عضواً في مجلس ادارة الجامع الازهر وفي سنة ١٣١٧ عُيّن مفتياً للديار المصرية وهو المنصب الذي توفي عنهُ رحمهُ الله تعالى

اما صفاتهُ الشخصية فكان ربعةً اسمر اللون معتدل الجسم قويّ البنية حادّ النظر فصيح المنطق جهوَريّ الصوت وكان متوقّد الفؤاد ثاقب البصيرة قويّ الحجة ذَرِب اللسان بليغ العبارة اذا وقف للخطابة كان كانما يتلوعن ظهر قلبهِ فلا يتوقف ولا يتلكأ ولا تجد في كلامهِ لفظةَ ركيكة ولا تركيباً سخيفاً حتى لو كتبت لفظهُ الذي يقولهُ على البداهة وجدتهُ كاحسن ما ينشئ المترسلون من الفصحآء . وكان آيةً من آيات الله في قوة الحفظ وسرعة التناول حتى انهُ تعلّم اللغة الفرنسوية وهو فوق الاربعين فلم يأتِ عليهِ الاّ اشهرٌ حتى كان يجيد فهمها ثم كان يتكلم فيها كأحد اهلها ولم يُروَ مثل ذلك الاّ عن استاذهِ السيد جمال الدين وذلك فضل الله يؤتيهِ من يشآء . ومع بعدهِ عن الشعر وعدم اشتهارهِ بهِ فانهُ كان مطبوعاً عليهِ يجيدهُ متى اراد وقد نظم أبياتاً قُبَيل احتضارهِ رويتها لهُ احدى الجرائد اليومية ننقل منها البيتين الآتيين

ولستُ ابالي ان يقال محمدٌ ابلّ او اكتظّت عليهِ المآتمُ
ولكنّ ديناً قد اردتُ صلاحهُ أُحاذرُ أن تقضي عليهِ العمائمُ

وفي هذين البيتين اشارةٌ لا تخفى على المطالع ومن علم ما كان ينويهِ من توسيع نطاق العلم في الجامع الازهر حتى يكون كاحدى الكليات الكبرى في اوربا ثم ما كان يحاول ابطالهُ من البدع التي كان يراها من مفاسد الامة واطّلع على ما لقي امثالهُ من كبار المصلحين في كل عصر تبدّت لهُ تلك الاشارة مشروحة المتن واضحة المغزى سامح الله ذوي المآرب وغفر لهم ما اساءوا بهِ الى هذه الامة الاسيفة بل الى الشرق الاسلامي على العموم ورحم الله تلك النفس الطاهرة واثابها عما نوت من الخير الكبير ولكل امرئٍ ما نوى

هذا مجمل ترجمة حياتهِ اوردناهُ بالاختصار واما بيان اعمالهِ في القطر وما كان لهُ من التأثير في عقول المتنورين من ذويهِ فسنفرد لهُ مكاناً مخصوصاً في الجزء التالي ان شآء الله